

التدريب المستمر من الواقع الميداني إلى بلوغ الأهداف

عملية التعلم ثالث قوامه المعلم أولاً والتلميذ ثانياً والمعرفة ثالثاً. وقد أجمعت آراء ودراسات الباحثين في علم التربية وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي على أن المتعلم هو محور هذه العملية الصعبة والدقيقة في آن. ثم إنه مهما تكن المناهج التعليمية مدروسة ومهما تطورت الوسائل التربوية وتعددت فلا يمكنها أن تفيد المتعلم أو أن تؤدي به إلى النجاح إذا لم يتسلم زمامها معلم تدرب على استعمالها وتطبيقها. وعلم التربية المرتكز على البحوث من جهة وخبرة المعلمين من جهة ثانية أدرك أن المعلم هو الموجه. وعملية التوجيه (orientation) بحاجة إلى التدريب على استعمال الطرائق والأساليب النشطة (méthodes actives) وعلى بناء استراتيجيات تعليمية فعّالة (stratégies d'enseignement).

الواقع الميداني

بناء عليه، قام المركز التربوي للبحوث والإثراء بعملية مسح شاملة في المدارس الرسمية وعلى أرض الواقع لتشخيص مكان الخلل والضعف ولتحديد حاجات المعلمين. فأظهر الواقع الميداني (état des lieux) الحاجة إلى الإعداد الأساسي (formation initiale de base) وإلى إعادة التأهيل وتطوير بعض المفاهيم القديمة وتحديثها والتمكين من المهنة (professionnalisation du métier d'enseignant) أو إلى التحفيز (motivation).

كما تبين من خلال دراسة الواقع الميداني أن ما يعيق عملية التعلم وما يتسبب في تدني مستوى التعليم هو الصعوبات التعلمية التي يعاني منها بعض المتعلمين والتي تظهر على مستوى طرائق التعليم واستراتيجياته (méthodes et stratégies). ولقد أظهر الواقع الميداني أيضاً أننا، بصورة إجمالية، لا نزال نلجأ إلى الأساليب التي تركز على محورية المعلم وسلبية المتعلم. المعلم هو الملقن والمتعلم يتلقى المعلومات ويسمع المحاضرات ثم يُحاول أن يُخزنها في ذاكرته (mémorisation). وهي أساليب ومفاهيم تقليدية لا تركز على محورية المتعلم (ne focalisent pas sur l'apprenant).

انطلاقاً من هذا الواقع ومن كل هذه المعطيات بدأت عملية التدريب المستمر حاجة ملحة وضرورة قصوى. بُذلت من أجلها جهود كبيرة من قبل جميع المسؤولين في وزارة التربية والتعليم العالي وخصوصاً مكتب الإعداد للتدريب في المركز التربوي للبحوث والإثراء وانطلق مشروع التدريب المستمر سنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

ماهي المفاهيم التربوية التي يركز عليها مشروع التدريب المستمر؟

يرتكز المشروع على مفاهيم تربوية حديثة أثبتت جدواها وفعاليتها الأكاديمية. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مفهوم بناء التعلم (constructivisme) والمعرفية (cognitivisme) الذي يساعد المتعلمين على اكتشاف المعرفة وبنائها بأنفسهم. كما يولي المسؤولون عن المشروع اهتماماً كبيراً بالتربية الفارقية (pédagogie différenciée)، ذلك أن الفارقة بين المتعلمين هي إحدى الأسباب الرئيسة التي تعوق عملية التعلم. ثم إن هندسة التدريب (ingénierie de la formation) تقتضي أن يوجه المعلم المتعلمين بحيث يصبح كل تلميذ قادراً على التعلم. فتعدد استراتيجيات التعليم يسهّل وصول المعرفة إلى جميع فئات المتعلمين وليس فقط إلى النخبة من بينهم، حيث تنطلق جميع هذه المفاهيم من محورية المتعلم.

وعملية التدريب المستمر تُساعد المعلم على الاستفادة من خبرات الآخرين كما تمكنه من تطوير مؤهلاته التربوية والتعلمية بالإضافة إلى تملكه كفايات (compétences) أكاديمية مهنية جديدة. كما أن الدورات التدريبية تدفع المعلم إلى مراجعة الحسابات والنقد الذاتي (autocritique) بغية تصحيح الأخطاء وتخطي الرتابة وتكرار الذات والمكمل وصولاً إلى القدرة على التدريب الذاتي



(autoformation) كما تفسح له المجال لكي يكتسب كيفية تطبيق الطرائق الناشطة (méthodes actives) إنها عملية تبادل المعارف وتجدد دائم!

ما هو دور المعلم وما هي الأهداف التي يجب أن يسعى إلى بلوغها لكي يجعل من المتعلم محور العملية التعليمية؟ من خلال التدريب المستمر، يدرك المعلم أن مهمته تقتضي:

■ مساعدة التلميذ وبصورة خاصة في مرحلة التعليم الأساسي لكي يشعر بالراحة والأمان ويشجعه على أن يكون قادراً على المشاركة مع الآخرين. (participation et travaux de groupe)

■ على المعلم أن ينمي عند المتعلم القدرة على بناء المعرفة بنفسه.

■ أن يحث المتعلم على التفكير (réflexion) وأن يجعله قادراً على الفهم ثم التحليل والإنتاج.

(compréhension analyse et production).

■ أن يساعده على بناء شخصيته المميزة وعلى أن يكون مستقلاً (autonome).

■ أن ينمي عند المتعلم القدرات ومهارات التفكير.

■ أن يساعده على تفتح مواهبه وطاقاته وأن يجعله قادراً على الخلق الإبداع من خلال الأنشطة اللاصفية وخصوصاً في مجالات الفنون.

■ أن ينمي عنده حب الثقافة والاطلاع من خلال المطالعة والبحث (travaux de recherche).

■ أن يعمل على إثارة فضوله العلمي (curiosité scientifique).

■ أن يجعل منه مواطناً مسؤولاً يعي حقوقه وواجباته.

■ أن يشجعه على اتخاذ المواقف الملائمة.

■ أن يساعده على اختيار مهنة المستقبل خصوصاً في المرحلة الثانوية.

أخيراً وبكلمة مختصرة، المعلم هو الموجه والمحفز والمشرف وليس المحاضر والملقن. وهو الذي يتمكن من اعتماد أسلوب التربية من أجل النجاح (pédagogie de la réussite).

إن هذا العدد من المجلة التربوية يمكن مديري المدارس والمفتشين التربويين والمعلمين الاطلاع على بعض ما يجري على هذا الصعيد. وقد حاول مكتب الإعداد والتدريب في المركز التربوي للبحوث والإنماء تسليط الضوء على المشروع من خلال مقالات وشهادات بعض المدرسين والمفتشين التربويين ومسؤولي مراكز الموارد فكان هذا العدد صدى لما يجري في مراكز التدريب لكي يُصار إلى تحسين أداء الجميع. ومما لا شك فيه أن المهمة كبيرة والأهداف نبيلة ونجاح هذا العمل النبيل مرهون بتضافر قوى جميع المسؤولين عنه: مديري المدارس، المسؤولين في مراكز الموارد، المدرسين، المعلمين، مديري دور المعلمين، المفتشين التربويين... فالنقد الذاتي وعملية التقييم شرطان أساسيان من شروط التقدم والتطور.

ومن البديهي القول إن فعالية هذه العملية التربوية تتطلب التقييم الدائم (évaluation continue) والمرافق لعملية التدريب والموكب لها وذلك بالاعتماد على معايير للتقييم (critères d'évaluation) تأخذ بعين الاعتبار تحسين نوعية التدريب والتعليم.

هذا العدد أرادته مكتب الإعداد والتدريب بمثابة إعلام تربوي ترويجي لهذا المشروع الحيوي ودعوة لمديري المدارس لتسهيل مهمة المعلمين الذين يرغبون الالتحاق بمراكز التدريب. هي أيضاً دعوة إلى جميع المعلمين للمشاركة الكثيفة والفعالة!

والمجلة التربوية تدعو جميع المعلمين والمدرسين الذين شاركوا في هذه العملية إلى التعبير عن آرائهم وتدوين شهاداتهم بتقارير (rapports de stages) سنعمل على نشر المفيد منها. فعملية تقييم المشروع (évaluation du projet) ستأخذ بعين الاعتبار شهادات جميع المشاركين فيه.

تمنياتنا أن تنمر الجهود وأن يكمل هذا المشروع التربوي المهم بالنجاح!

مبني الزعني كلنك